وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر باتنة 1

كلية العلوم الإسلامية

قسم اللغة والحضارة الإسلامية

بالتعاون مع

مخبر العلوم الإسلامية في الجزائر

**الملتقى الوطني :الديني والسياسي في التجربة الإسلامية الأولى من خلال الدراسات المعاصرة**

المحور الثالث الديني والسياسي في الدراسات الحداثية

الدكتورة: عومري عقيلة

**جامعة زيان عاشور الجلفة**

عنوان المداخلة:

# **الديني والسياسي** في التجربة الإسلامية من خلال الرؤية **الحداثية** -**علي أومليل** نموذجا-

**مقدمة:**

لقد تناولت أفلام كثيرة ومختلفة التجربة السياسية الإسلامية الأولى . شأنها شأن التراث الإسلامي ككل . بالبحث والدراسة ،واختلفت آراءهم حولها بين مقدّس لها معتبرا إياها نموذجا أوحدا يعز تكراره ،ولابدّ من محاولة إحيائها من جديد، و بين من ينزع القدسية عنها ، ويعتبرها نتاج عملية تجسيد لأفكار بشرية واقعيا في حقب ماضية مختلفة لا يمكن جرّها إلى الحاضر بحال من الأحوال فهي لاتعدو كونها تجربة بشرية تاريخية لها حيثياتها وسياقاتها المختلفة التي وجدت فيها ، فهي خاضعة للنقد كأي تجربة بشرية أخرى ، ولعلّ أبرز من ينزع هذا المنزع هم المستشرقون ومن بعدهم الحداثيون وإن اختلفت مشاربهم و إيديولوجياتهم ،وإن تباينت أفكارهم ومناهجهم وطرق تعاملهم مع التراث الإسلامي ككل ومع التجربة السياسية الإسلامية ،وذاك الصراع بين السياسي والديني الذي غذوه بصورة كبيرة في كتاباتهم في تجربة نظام الحكم الإسلامي ،ولعلّ أبرز الذين كتبوا وبإسهاب في ذلك الأستاذ علي أومليل في كتاباته المختلفة.

والسؤال الرئيس الذي يطرح هنا كيف تناول علي أومليل علاقة السياسي بالديني في التجربة السياسية الإسلامية الأولى؟ وهل اختلفت رؤيته على المستشرقين وباقي الحداثيين؟ وهل أصاب في رؤيته تلك حسب السياقات التاريخية ؟

ولعل هذا السؤال جرّ معه سؤالين قبله

1 من هو علي أومليل ؟ وماهو مشروعه الفكري نحو التراث الإسلامي عموما والسياسي منه خصوصا؟

للإجابة على ذلك كانت خطة هذه الورقة كالتالي:

مقدمة وثلاث مباحث وخاتمة

المبحثالأول: نبذة قصيرة عن علي أومليل وعن مشروعه

المبحث الثاني:الديني والسياسي في التجربة السياسية الإسلامية حسب رؤية علي أومليل .

الخاتمة .

**المبحث الأول : نبذة عن علي أومليل ومشروعه الفكري :**

أولا: نبذة عن حياة علي أومليل :

1 . المولد والتحصيل العلمي لعلي أومليل:

علي أومليل من مواليد مدينة القنيطرة بالمغرب سنة 1940م،تحصل على بكالوريوس الفلسفة سنة 1960م من جامعة القاهرة ، وكان متأثرا بالفلسفة الوجودية التحق بجامعة السوربون ليحصل منها على شهادة الدكتوراه سنة 1977م حول منهجية ابن خلدون ،بإشراف الباحث الفرنسي روجر أرنالديز

2 . المسيرة العملية و الفكرية لعلي أومليل :

أمّا المشوار العملي لعلي أمليل فقد بدأه سنة 1962م كأستاذ مساعد في الفكر العربي المعاصر بجامعة مُحَمَّد الخامس بالرباط بالمغرب، ثم في سنة 1979م شارك أومليل في تأسيس الجمعية المغربية لحقوق الإنسان بالرباط والتي ترأسها عام 1985م،كما شارك في تأسيس المنظمة المغربية لحقوق الإنسان في عام 1988م، وقد ترأس مجلس إدراتهابين 1990 و 1993م،كما كان أحد مؤسسي وعضو مجلس إدارة اللجنة التنفيذية للمعهد العربي لحقوق الإنسان في تونس،كما شغل منصب أمينا عاما لمدة أربع سنوات لمنتدى الفكر العربي ،

**3 . المناصب السياسية والدبلوماسية :**

يعتبر علي أومليل من المفكرين الذين جمعوا بين العلم والسياسة والدبلوماسية،على غرار كثير من العلماء في العصر الوسيط والحديث والمعاصر ،لذا ينعته البعض بالأستاذ المفكر والسياسي فقد تم تعيينه سنة 2000م سفيرا فوق العادة مفوضا لدى جمهورية مصر العربية إلى سنة 2004م،كما شغل خلالها منصب سفير المغرب لدى جامعة الدول العربية ،كم عيّن سفيرا لدى لبنان من 2004م إلى 2016م

4 . الإنتاج العلمي لعلي أومليل :

لعلي أومليل مؤلفات عديدة منها

الخطاب التاريخي دراسة منهجية لابن خلدون . الإصلاحية العربية والدولة الوطنية.

في التراث والتجاوز . في شرعية الاختلاف . السلطة الثقافية والسلطة السياسية .

مواقف الفكر العربي من التغيرات الدولية الديمقراطية والعولمة. سؤال الثقافة في عالم متحول

أفكار مهاجرة ، مرايا الذاكرة .

كما له مؤلفات بالفرنسية منها:Lhistoire et son Discours

Islam et Etat National

**ثانيا : ملامح عن المشروع الفكري لعلي أومليل:**

إنّ المطّلع على المشروع الفكري لعلي أومليل يجد كلمات حاضرة بكثافة وفعالية فيه وهي :التراث الإصلاح ، الديمقراطية ، الثقافة ،رغم أنّ عددا من الباحثين العرب عالجوا هذه المفاهيم ذاتها ،لكن حاول اومليل أن يخضع مقاربته للنقد ،وطرحها من زاوية التلقي الفكري العربي ،وليس عبر الإطارت التاريخية التقليدية الناظمة لها ،أراد أومليل أن يخرج من عملية تنميط لنماذج تراثية ،فالتراث في مشروعه الفكري لابدّ من قراءته قراءة نقدية، فيجب أن يبقى تراثا ولا يمكن إحياؤه من جديد للعمل به أو البناء عليه،فالنخبة مطالبة بهذه القراءة النقدية، وعليها أن تتخذ المنهج الملائم، ربما هذا ماجعله يهتم المنهج الخلدوني ويتعمق فيه. والغاية من هذا كله هو تغيير أوضاع الأمة وإصلاحها حسب رؤيته طبعا.

ولكي تتم عملية إصلاح واقع الأمة . حسب أومليل. لابد من عملية مزدوجة هي اقتباس أسباب قوة الغرب من قيم ومبادئ وتنظيمات ،وبتبنيها بإعادة قراءة التراث،قراءة انتقائية ، فلا يستتدعى كل التراث ،بل يهمل الكثير ممّا يحتويه أو ينتقد أويسكت عنه[1].

ويرى أنّه ليس الإصلاح أو التنمية مجرد استيراد لمجموعة من البرامج و والأدوات والألآت إذ لايجوز اعتبار الانفجار التكنولوجي ،واكتساح التقنية والعلم والحديث مجرّد نقل بريء وحيادي لإستيراتجيات التنمية ولأفكار ومذاهب نقبلها أو نرفضها،لأنّ هناك نمطا كاملا من الحياة والوجود هو الذي يخترق كل المعاقل ،والوطنيات

1 ـمجموعة من الباحثين، الفلسفة والحداثة في المشروع الفكري لعلي أومليل،،مركز دراسات الوحدة العربية ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة احسن الثاني ،الدار البيضاء،2014م ص31

والهويّات القوميّة والعقائدية ،إنّه قدر هذا العصربل نحن نعيش في حالة كونية ،ومعناه او استيراتجية لمحو الحدود الجغرافية [2].

وقد انتقد أومليل كل الحركات الإصلاحية العربية واعتبر مشاريعها فاشلة سواء الإسلامية منها أواللبيرالية، رغم أن هناك حركات إصلاحية انفتحت على الحداثة الغربية وقيمها الديمقراطية ومنها الحركات الإسلامية ،وحسبه هذه الحركات الإسلامية المعتدلة التي شاركت في الحياة السياسية هذا حقها لكن لابد من ربطها بضرورة التمييز بين الحقلين الديني والسياسي ،فمادام الديني لم يستقل عن السياسي.....فإن المجتمعات الإسلامية ستعرف دائما سلطة الناطقين باسم الشريعة سيظل الباب مفتوحا باستمرار لمختلف الأصوليين في المستقبل كما في الماضي .

وهنا تتضح الخلفية الفكرية التي انطلق منها أومليل،وهي الخلفية العلمانية شأنه كشأن الحداثيين الذين تربوا في المدرسة الاسنشراقية.

يربط أومليل بين المشروع الإصلاحي ومسؤولية المثقف ليحدّد المفهوم الواسع للمثقف وطبيعة المعارف التي يحملها ،وأنماط السلطة المعنوية التي يمارسها، وأنّ المثقف مرتبط عضويا بمجتمعه وثقافتهإلى درجة انتفاء وجود المثقف في غياب قضية ،فالمثقف حامل لضرب من المعرفة الخاصة التي تتسم بالحرية والقصدية ،و حسب معاييره تلك أن التراث الإسلامي التقليدي يفتقر لمثقف بهذه المعايير،فالمثقف لايمكن أن يكون أخرسا ولا ظلاّ للسلطان، فالحرية إرادة المثقف وتعبيره الحر عنها هما شرط وجوده[3].

هذه أهم ملامح رؤى وأفكار أومليل التي بنى عليها مشروعه الحداثي .

**الديني والسياسي في رؤية علي أومليل الحداثية :**

قبل أن نتكلم عن رؤية علي أومليل الحداثية للديني والسياسي لابدّ أن نعرف الحداثة كونها

2. المرجع نفسه

3. الفلسفة والحداثة في المشروع أومليل ،ص15 . 16

كونها منطلق الرجل حتى تتضح لنا رؤيته بشكل عام ،فالحداثة ببساطة هي مصطلح فلسفي وفترة تاريخية تعني العقلانية والاحتكام إلى العقل كمرجعية مطلقة للإنسان المتحرر من أي قيد ديني أو غيره [4]،وكأي ظاهرة إنسانية هي وليدة بيئتها وظروفها التاريخية والاقتصاديّة و السياسية الاجتماعية،فالحداثة تجربة إنسانية أور وبية ،فيها الإيجابي الجميل وفيها السلبي غير المقبول أخلاقيا ودينيا [5]، لكن الحداثيين العرب اعتقدوا أنّ أهم عائق أمام تقدمهم كالأروبيين هو التراث ،لأنّ التراث سواء الديني والفقهي والفكري وحتى الأدبي والقيمي لازال يمارس سلطانا حقيقيا على العرب والمسلمين في مختلف مجالات حياتهم ويوجه أفعالهم سواء أفرادا أو مجتمعات [6]

وقد أدّى ذلك إلى نشوب صراع بين خطاب الحداثة وخطاب الأصالة ،لأنّه من يمتلك تأويل التراث يمتلك السلطة والتأثير على الحاضر [7]،وتعدّد معه خطاب الحداثة ،فكان علي أومليل من أبرز الفلاسفة الحداثيين الذي انتقد التراث والتاريخ الإسلامي بما فيه السياسي منه بطريقته الخاصة.

انطلاقة علي أومليل كما ذكرت سابقا من خلفيته العلمانية فهو كغيره من الحداثيين أخذوا عن الأوروبيين الذين يفرقون بين الديني والسياسي نظرا للأوضاع التي عاشوها في عصور ظلامهم بسب تعنت الكنيسة التي تمثل الدين وكانت سببا لتخلفهم، و يؤمنون بأنّ لولا تخليهم عن دينهم المسيحي الكنسي ماكان هذا التطور في أوروبا

فالظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي عاشها الغرب الأوروبي المسيحي في عصور الظلام هي التي جعلتهم يفرقون بين الديني والسياسي، بدءا من تفريقهم بين السلطتين السلطة الزمنية والسلطة الروحية

لقد ذكر ذلك المستشرق برنار لويس قائلا:".....أمّا المسيحية فيرجع وجود السلطتين إلى المؤسس الذي أوصى بأن يعطى ما لقيصر لقيصر وما لله لله،وعلى طول تاريخ المسيحية توجد سلطتان الله وقيصر ممثلتان في هذا العالم للسلطة الدينية المقدّسة sacedotium

4. محمّد حسين الصافي ، نقد للقراءات الحداثية للتراث و التاريخ الإسلامي . محمّد عابد الجابري، مركز الإبداع الثقافي للدراسات وخدمة التراث ،صنعاء ، اليمن ،2022م ،ص12

5. المرجع نفسه،ص13

6 . عبد الإله بلقريز، نقد التراث ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت،لبنان،2014،ص10 . 11

7 محمّد حسي الصافي نقد القراءات الحداثية ،ص13

والسلطة الزمنية أو الحاكمةRegnum ،وفي العصور الحديثة تمثلهما الكنيسة والحكومة ،هاتان السلطتان قد تتحدان ،وقد تنفصل كل منهما عن الأخرى،وقد تنسجمان ،وقد تتنافران وتتصارعان.....ولكن هناك سلطتان موجودتان على الدوام السلطة الروحية والسلطة الزمنية."[8]

و السؤال الذي يجب بحثه هنا ماذا نعني بالديني في حضارتنا الإسلامية ؟

،لو بحثنا في قاموس منظومتنا المعرفية الأصيلة لانجد هذا المصطلح لأن الدين واحد فالدين عند الله هو الإسلام ،وأنّ لفظ الديني في هذا السياق يوحي بمعنى التّدين أو يقصدون بالتحديد من يمثل الدين .

في الحضارة الغربية المسيحية الذي يمثل الدين هم الكهنة ورجال الدين الكنسيين وبالمصطلح القرآني الرهبان أما اليهودية فهم الأحبار،وبالمصطلح التلمودي الحاخامات

في الحضارة الإسلامية لا رهبانية في الإسلام ،فلا أحد له حق أن يكون وسيطا بين الله والبشر، فالإسلام دين الجميع، ولا أحد يمتلك الحقيقة وحده دون الآخر،أو بيده صكوك الغفران كما هي الحال في مسيحية القرون الوسطى. لكن هناك علماء الشريعة يقومون بتعليم الناس دينهم وتوجيههم ، بحكم أنّهم أولي الأمر الذين شملهم النص القرآني [9]،وهم ورثة الأنبياء حسب النص الحديثي [10]،بسبب علمهم الذي هو حاكم على الجميع،والذي يقضي بين الناس ويفصل بينهم في النزاعات والخلافات ، لكن علمهم هذا رغم سلطته الروحية على النّفوس لا يعطيهم سلطة التّحكم في البشر أو الحق في مسامحتهم أوحط الذنوب [i]عنهم بدل الله عزوجل .

إلا أنّ الإسلام يشدّد على أن يكون الحاكم (السياسي )عالما بل مجتهدا في علمه

لذا لا يمكن فصل العلم الشرعي عن السياسة فهما واحد، الأصل في السياسي الحاكم لابد أن يكون عالما بل مجتهدا[11] .

8. لويس بارنار،لغة السياسة في الإسلام ،،تر:إبراهيم شتا،،دار قرطبة للنشر والتوفيق،قبرص،1993م،ص11

9 . هذا في تفسير الآية عند أبي بكر بن العربي: " أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم"،أحكام القرآن :تح: علي مُحَّد البجاوي ، ط3، البابي الحلبي، القاهرة 1972م ،451/1

10 . العلماء ورثة الأنبياء

11. الجويني،غياث الأمم في التياث الظلم ،تحقيق:عبد العظيم الديب،مكتبة إمام الخرمين ن1401هـ،ص84

ومن معاني السياسة تدبير الشيء والقيام بما يصلحه [12]وهذا من صميم الإسلام،فكل طرق المعرفة والعلم تؤدي إلى السياسة .،وقد ذكر الغزالي أنّ "... **الملكوالدينتوأمان،فالدينأصل،والسلطانحارس** "[13]

والنبي ﷺ كان رسولا مشرّعا وسياسيّا ،وكان الخلفاء الراشدون علماء وساسة حكاما .

لا ننكر أنّ هناك بعض الانفصال بين الطرفين ين العلماء والساسة الحكام لكن ليس بذلك الانفصال في الحضارة الغربية، وكثير من الساسة في العصر الوسيط وفي القرون الأولى بالذات علماء

وقدعبّرالفقيه الأندلسي ابن العربيموضحا لهذا الانفصال بقوله :"كان الأمراء قبل هذا اليوم وفي صدر الإسلام هم العلماء والرعية هم الجند، فاطّرد النظام ،وكان العوام والقوادفريقا،والأمراء فريقا آخر،ثمّ فصل الله الأمر بحكمته البالغة وقضائه السابق ،فصار العلماء والأمراء فريقاآخر، وصارت الرعيةصنفا ،وصار الجند آخر فتعارضت الأمور.."[14]

كما ذكر أيضا برنار لويس بارنار في كتابة لغة السياسة في الإسلام في بداية كلامه

لم يكن في الإسلام الكلاسيكي . قبل تغريب مفاهيمه . حدود فاصلة بين المسجد والدولة ،ولم تكن هناك سلطتان بل سلطة واحدة.[15]

لكن علي أومليل ومن حذا حذوه من الحداثيين وغيرهم لايفرقون بين النظامين الإسلامي والغربي ،وعلى أساس ذلك طرحوا أراءهم ومقارباتهم . و إن حاول علي أومليل أن يختلف عنهم ، فهو يرى أنّ الرسول صلى الله عليه وسلّم اجتمعت لديه الدعوة و السلطة أي الدعوة والسياسة لا الدين والدولة ،في حين هذه الأخيرة ظهرت ابتداء في الدولة الأموية ،كأنّ ماقبل الدولة الأموية لا وجود للدولة ،رغم وجود السلطة .

فإن سلمنا له بأن النبي ﷺ في عهده لم تكن هناك دولة بمفهوم الدولة الحالي، لكن هناك سلطة و سياسة اتبعها الرسول ﷺ وساس بها .وكذا في عهد الخلفاء الراشدين ومن بعدهم وان اختلفت التسميات خلافة/إمامة

12. ابن منظور لسان العرب ،107/6 . 108

13. أبو حامد الغزالي ،إحياء علوم الدين ، دار المعرفة بيروت،لبنان 1 /17

14. محمّد ان الأزرق ،بدائع السلك في طبائع الملك ،تح:علي سامي النجار، منشورات وزارة الإعلام،،بغداد،1977م،1 /391

15 . برنار لويس ،لغة السياسة ،ص11

/إمارة المؤمنين وهي تعني عند التأريخ للتاريخ السياسي الإسلامي بالدولة الإسلامية أو الخلافة الإسلامية أو الدولة في الإسلام[16].

تناول أومليل في كتاب السلطة الثقافية والسلطة السياسية والتي يقصد بها العلماء والحكام وهي تلك العلاقة بين الديني والسياسي في الحضارة الإسلامية طبعا هي تندرج ضمن سلسلة بحثه في التراث حيث يحاول من خلال مقارباته تلك بقصد أو غير قصد ثني الذين يريدون البحث في التراث ويرجون منه الاستفادة او العثور على معالم العقلانية ، المنهج ،والديمقراطية أو المدنية ...وغيرهمفهو يؤيسهم من ذلك .

فالديني الذي ي أطلق عليه اسم المثقف مصطلح استعمل في العصر الحديث وفي فرنسا بالذات بعد حادثة لها سياقاتهاوحيثياتها رغم وجود جذور اللفظة في معاجمنا اللغوية ويعني الحاذق الماهر ....[17]

ولست هنا في صدد التعريف بالمثقف وكيفية ظهور هذا المصطلح لأنّه ليس موضوعنا لأنّه ظهر في ظروف غير ظروفنا ،لكن الذي يعنينا هو أنّ العالم الذي يقصده في كتابه الممثل للسلطة الثقافية هو الديني فنجد هذه العبارة " لقد الحّ العالم دائما( ونقصد بهصاحب العلم الديني)".

ثمّ "إنّ كلا من الحاكم والعالم(الديني) يدّعي لنفسه خلافة الرسول ..."[18]

وفي استعراضه للعلماء في الحضارة الإسلامية ذوي تخصصات مختلفة في مختلف المعارف الإسلامية لدليل أيضا على ذلك ،

ويمكننا أن نقول أنّ المثقف كما عرفه أمليل في الثقافة الغربية وفي فترة التنوير الأوروبي وهوكما يراه الجابري أيضا من يثور على الأوضاع ويقوم بدوره كمشرّع و معترض ومبشّر بمشروع أوعلى الأقل صاحب رأي وقضية[19]

والمثقف عند أومليل هومن يقوم بتغيير أوضاع مجتمعه ولايرضى بالخنوع ولا الظلم و أحيانا نستشعر استفهامه الساخر ملمحا ومصرحا وكأنّه يقول هل هناك فعلا وجود للمثقف في حضارتنا الإسلامية الذي

16. علي الإدريسي،السلطة والدّولة في الإسلام. مرجعيات ومسارات وتحولات ، عالم الأفكار،، الجزائر،33،2018 ،33. 34

17 . محمّد عابد الجابري، المثقفون في الحضارة الغربية ،ط4، مركز دراسات الوحدة العربية 2014م،ص24 . 25

18. علي أومليل، السلطة الثقافية والسلطة السياسية، ط3 ،مركز دراسات الوحدة العربية ،لبنان،2011،ص11 . 12

19 . الجابري ،مرجع سابق،ص2'

يغير و يصلح [20]؟،فيستعرض أوجه من ممثلي الثقافة الإسلامية نماذج من الديني : القراء ، الفقهاء الكتاب ، المتكلمة الفلاسفة المتصوفة . فمن من هؤلاء يصلح أن نطلق عليهم مثقفين ؟ وبعبارة أخرى علماء دين حقيقين وربط ذلك بعلاقتهم بالساسة و الحكام ،فكلما كان الديني على مسافة بينه وبين السياسي يستطيع تغيير الأوضاع ،ويقف ندا للسياسي فهذا هو المثقف او الديني أو المعرفي الحقيقي أو العالم الرسالي بالعبارة المعاصرة

فبعد الانفصال الذي حدث بعد الخلافة الراشدة انفصل الديني عن السياسي ،فجاءت محاولات عديدة لرأب الصدع بين الطرفين ، وبسبب تميز فئة العلماء، واعتقادها أنّها الحارس الأمين أو الموقعة عن رب العالمين ،ومحاولات الساسة التّفرد بالحكم،وحيازة السلطتين الدينية والزمنية باعتبارهم حماة الدين والدولة ،وخلفاء الله في الأرض،أو خلفاء رسوله ﷺ ،ظهر صراع خفي وجدلية بين الطرفين شيئافشيئا بين الديني إن صح التعبير والسياسي،فظهر على السحة صراع بين القراء باعتبارهم أسلاف الأصوليين،وهم أول فئة ظهرت تمثّل الدين ثمّ انتقل إلى الفقهاء

فأخذ يذكر القراء الذين هم رواد السلطة العلمية في الإسلام الذين لم يستطيعوا أن يكونوا ندا للحكام والساسة صحيح، أنّهم ثاروا ضدهم فيما عرف بثورة القراء في سنة 82هـ/701م أو 83هـ/702م في موقعة دير الجماجم، لكن لم يستطيعوا الصمود بعد ذلك لأن هذه الفئة لم تعد موجودة بعد ذلك بسبب التفرعات في العلوم الدينية وبسب التطور السريع في العلوم بعد حركة الترجمة

لينتقل إلى الفقيه الوريث الشرعي ورائد السلطة العلمية،لأن علمهم الديني يلزمهم بالرقابة على المجتمع والسلطة[21]لكونه يملك حق التحليل والتحريم في مختلف شؤون واحوال المسلمين ،أمّا بالنسبة للسياسي فهويريده أن يكون مستشاره الخاص بل المانح له الشرعية لحكمه ،والمشروعية للممارساته، لا الرقيب عليه المحاسب له المقوّض لعرشه إن اقتضت الضرورة.

لذا ذكر أومليل أنّ علاقة الفقيه بالسياسي والسلطان على ثلاثة مواقف فقهاء السلطة وفقهاء السكتة وفقهاء الحسبة

---

20 المرجع نفسه،ص10

21 . علي أومليل ،مصدر سابق،ص200

أمّا فقهاء السلطة وفقهاء آخرون أوجدوا لأنفسهم من الذرائع ،ما جوّز لهم الصمت ،إلا أنّه كان هناك فقهاء اعتبروا أنّ علمهم الديني يلزمهم بإقامة الرقابة على المجتمع والسلطة[22]

ليقرّر أنّ فقهاء السلطة لا كلام معهم لأنّ مقامهم مقام استتباع ،ومفهوم المثقف ليس يستقيم بالاستتباع ،وإنّما بقدر من لاستقلال قلّ أم كثر ،واتسع أم ضاق ،وفقهاء السكتة لاقول فيهم لأن لا قول لهم في السلطة ،وسماهم فقهاء الصمت [23]

أمّا فقهاء الحسبة وهو دور العالم الرقيب على السياسة أي المحتسب [24]،وهو الدور الرسالي للعالم صاحب العلم الديني وهو المثقف الذي يريده أومليل .

وفي النوعين الأول والثالث إمّا أنّهم يتمسكون بمبدأ رقابة الشريعة على السلطة يواجهون به الحكام،وإما أنّهم يتواطؤون على تسويات لضمان جاههم في ظل السلطة أو على الأقل حرصا على سلامتهم الشخصية

يرى أومليل أنّه ممكن تجاوزا أن نسمي الفقيه ( الديني) هذا مثقفا إذا شكّلت السلطة الثقافية أوالعلمية التي يمتكها سلطة مضادة .

فهل كانت سلطة الفقيه سلطة مضادة ؟ فيجيب نعم ولا نعم لأن الفقيه ( الديني) وقف في بعض الأحايين ضد السلطان (السياسي)،ولا لأنّ سلطته كانت من جنس السلطة التي عارضها لا فرق بين السلطتين المستبدلة والمستبدل بها أي أنّهما معا كانا من جنس السلطة المستبدة،فما كانت سلطة الفقيه الناقدة للسلطان بذلك سلطة مضادة بل منافسة له

ثمّ ينتقل أومليل إلأى " الكاتب " . كاتب الديوان .كاتب السخرة . والكاتب المستقل كاتب العزلة . وقد كتب الأول في موضوع السياسة ومارسها واستقل بالشأن السياسي عن الشأن الديني نكاية في الفقيه ،وبالتالي انزلق به الأمر فكان أن تمّ تحرير السياسة لأجل السلطان وليس لأجل الناس، بحيث صارت

22 . المصدر نفسه

23 . المصدر نفسه

24. المصدر نفسه،ص138

السياسة ملكا خاصا لا شأنا عاما فكان مرسّخا للاستبداد السياسي،فصار الكاتب كاتب الديوان مجرد خديم[25].

أمّا الكاتب المستقل فإمّا يقبل مقام السخرة لخدمة السلطان فيتكسب من سوق السلطان،فيبقى هو أيضا يبقى في وضعية الخادم والتابع،ويضرب مثالا على ذلك بالجاحظ، أو يلقي به المقام إلى العزلة والتوحد ويعطي مثالا على ذلك بأبي حيان التوحيدي [26]،وفي كلا الحالين لايمكننا أن نعتبرهما مثقفين أو أصحاب رسالة فهما إما تابعين للسياسي أو إمّا معتزلين زاهدين منقطعين عن الحياة

أمأ الفيلسوف وهو على نوعين إما :

المعتزل للسلطة المبتعد عنها كالرازي ،والسجستاني المنطقي أو المنخرط في الكتابة في االسياسة كابن سينا والباجي،وإن كان اومليل لا يعتبر ما كتباه سياسة ، فالفيلسوف المسلم بقي مثاليا بعيدا عن السياسة الواقعية ، فقضايا المجتمع بعيدة عنه،فهو أبعد من أن تكون له قوة اجتماعية تسنده، وما لعبت الفلسفة أي دور سياسي في تاريخ الإسلام[27] ،فلا سلطة يملكها الفيلسوف لكونه لايملك جمهورا يسنده

إذا أضفنا إلى ذلك تخفي الفيلسوف في عباءة الطبيب خوفا من العامة حينا،وتحسبا لتقلبات السياسي وصاحب السلطة حينا آخر. فأنّى له أن يكون مثقف عصره أو ندا للسياسي .

في الأخير يخلص علي أومليل إلى أن الفقيه ( الديني) هو من كان يملك مفاتيح القدرة على تمثيل دورة المثقف أو الديني بمعناه الواسع باعتباره حاملا للعلم الديني ،فهو صاحب السلطة العلمية الثابتة في المجتمع الإسلامي،لأن السلطة العلمية الطبيعية في المجتمعات العربية حسب أومليل تستند بالأساس إلى العلم الديني ،ومن هنا فالفقيه وحده من كانت له سلطة، بل يذكر مثالا على هذا المثقف الذي نجح في تحويل أفكاره إلى قوة اجتماعية هو الفقيه ابن تومرت ،كونه صار عالما سلطان[28]ا .

25. علي أومليل ، المصدر نفسه ص 68، 97، الفلسفة والحداثة في المشروع الفكري لعلي أومليل ،ص82

26. المصدر نفسه،ص68، المصدر نفسه،ص72

27 علي أومليل، المصدر نفسه،ص143

28 . المصدر نفسه،ص215. 227، الفلسفة ولحداثة،م ،س ،ص78 . 79

إنّ الفقيه (الديني) بسبب علمه الديني وقدرته على توظيفه في المجتمع بين العامة كمفتي أو مشرّع أو قاضٍ أومصلح اجتماعي كما كان حال ابن تومرت.أو وقوفه في وجه السياسي حينا ومراوغته أخرى باستغلال سلطته في إضفاء الشرعية والمشروعية على ممارساته كل ذلك يسمح له بالتغيير والإصلاح والنديّة للسياسي بمعنى آخر إذا كانت سلطته سلطة مضادة لا منافسة فقط حسب تعبير أومليل

لكنه يرى أن الأمثلة قليلة لهؤلاء في الحضارة الإسلامية ، لكنها كانت موجودة في الماضي ويتأمل أنّ سلطة المثقف العربيبرنامج آت في المستقبل

**خاتمة :**

**أولا: النتائج:**

من خلال هذه الدراسة البسيطة نستشف بعض هذه النتائج:

- ✓ لايمكن قياس علمائنا على المثقفين الغربيين ،فظهور هؤلاء له سياقاته التاريخية وظروفه الاجتماعية والسياسية الخاصة .
- ✓ كما أن لفظة الديني لفظة خاصة لم تستعمل في منظومتنا المعرفية الوسيطية وفي القرون الأولى بالذات
- ✓ يقرّ علي أومليل في الأخير بأن الفقيه هو الوحيد الذي يملك السلطة العلمية وبإمكانه أن يقف ندا للسياسي .
- ✓ لا يمكن نكران الانفصال الذي حدث بين العلماء والحكام عند تحول الخلافة إلى ملك عضوض .
- ✓ لقد مرت علاقة الديني بالسياسي في تاريخنا السياسي بمراحل مختلفة ، وتزعمها عن الطرف الديني علماء كثر ، ولم تكن كلها بالضرورة علاقة تضاد أو سلطة مضادة للسلطة ،فهناك توافق وتنافر واستتباع واستئثار وحتى تكامل أخيانا .

**:ثانيا: التوصيات :**

1 . على الباحثين في جامعاتنا الاهتمام بالبحث في تراثنا السياسي وغيره من منابعه الأصلية،ثمّ الاطّلاع على كتابات المستشرقين والحداثيين للرد عليهم عن علم لا عن عاطفة وتعصب ..

2 . تكوين فرق بحثفي مخابر الجامعات لدراسة تراثنا ،وتأليف كتب جماعية لذلك

3. على الباحث أن ينطلق في بحثه في التراث دون خلفية أوتقديس كبير لكل محتوياته. كما لابد أن يتحرر من الفكر التدنيسي لكل ماهو تراثي .